﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾

[المدثر: 1 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الرِّسالة العامَّة تقتضي بَذلَ الجُهدِ في الدَّعوةِ إلى الله

لمّا كان النَّبيُّ ﷺ في حالِ تدثُّرِه قد لزِمَ موضعًا واحدًا، فلزِمَ من ذلك إخفاءُ نفسه الشَّريفة؛ أُمِرَ ﷺ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ ما يُراد به من كونهِ رسولًا عامًّا مقتضٍ للاجتهاد وتشمير الذَّيل[1].

ولمّا كان الإنذارُ يتضمَّن مواجهةَ النّاس بما يكرهون، وذلك عظيمٌ على الإنسان؛ أُمِرَ ﷺ بتعظيم مَن أرسلهُ الله ﷻ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾؛ فإنَّهُ إذا عُظِّمَ حقَّ تعظيمهِ صَغُر كلُّ شيء دونه، فهانَ عليه الدُّعاءُ، وكان مُعينًا له على القبول[2].

ولأنَّ في تنزيه العبد عن الأدناس تنزيهًا للمعبود بحقٍّ؛ فقد أمرَ الله نبيَّهُ بتطهير الظّاهر والباطن ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾؛ فأمرَهُ بإبعادِ نفسه عن كلِّ مقذورٍ[3].

ولمّا كان الله تعالى قد بدأ بأحدِ سببَي القبول ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾؛ أتبعَهُ الثّانيَ المُبعدَ عن قاصمةِ العمل من العُجْبِ والرّياء بقوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾[4].

ونظرًا للمشقَّةِ الكبيرةِ فيما أمرَ الله تعالى نبيَّهُ ﷺ من التكاليف؛ فقد أمرَهُ بالصَّبر على هذه المشقّات، التي هي من باب الصَّبر على الطّاعة[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 40.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 42.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 43.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 44.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 700، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 45.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: (دثر) أصلٌ يدلُّ على تضاعُفِ شيء، وتناضُدِ بعضِه على بعضٍ، ومن ذلك: الدَّثْرُ، وهو المال الكثير[1]، والدِّثارُ، وهو ما يُتدثَّرُ به، ويُقالُ: قد تدثَّرَ الرَّجلُ الفرسَ، أي: وثبَ عليهِ فركبَهُ، ورجلٌ دَثور: خاملٌ مستترٌ، وسيفٌ داثرٌ، وهو البعيدُ العهدِ بالصِّقالِ[2]. والمراد بالمدَّثِّر هنا: الذي تغشَّى بثيابه ونام[3].

2) ﴿فَأَنذِرْ﴾: (نذر) أصلٌ يدلُّ على تخويفٍ أو تخوُّفٍ، ومنهُ: الإنذارُ، وهو الإبلاغُ، ولا يكادُ يكونُ إلّا في التَّخويفِ[4]، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ [غافر: 18]، أي: خوِّفْهم[5]، ويقالُ: تناذَروا، أي: خوَّفَ بعضُهم بعضًا، والنَّذيرُ: المُنذِرُ[6]، ويقعُ على كلِّ شيءٍ فيهِ إنذارٌ، إنسانًا كانَ أو غيرَهُ[7]. والمراد بالإنذار هنا: التَّخويف والتَّحذير من العذاب[8] إن لم يُؤمنوا باللّه تعالى ويوحِّدوه.

3) ﴿فَكَبِّرْ﴾: (كبر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الصِّغَرِ[9]، ومِنْ ذلكَ: الكِبْرُ، وهو إعجابُ الإنسانِ بنفسِهِ، وذلكَ أنْ يَرَى نفسَهُ أكبرَ مِنْ غيرِهِ[10]، والكِبْرياء: التَّكبُّر والعظمة، وكِبْر كلِّ شيء: عِظَمُهُ. وقوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: 11]؛ يعني: عِظَمَ هذا القذف[11]، والتَّكبيرُ يقال لتعظيم اللّه تعالى بقولهم: اللّه أكبر، ولعبادته واستشعار تعظيمه[12]. والمراد هنا: تعظيم اللّه وتنزيهُهُ عمّا يقوله عَبَدةُ الأوثان، أو أن يقول: اللّه أكبر، أو التَّكبيرُ في الصَّلوات[13].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والأزهري، تهذيب اللغة: (دثر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (دثر).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 59، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 561، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 388.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).
(5) الزبيدي، تاج العروس: (نذر).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (نذر).
(7) الراغب، المفردات: (نذر).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 61.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كبر).
(10) السمين، عمدة الحفاظ: (كبر).
(11) الخليل، العين: (كبر).
(12) الراغب، المفردات: (كبر).
(13) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 697.

4) ﴿وَثِيَابَكَ﴾: (ثوب) أصلٌ يدلُّ على العَوْد والرُّجوع[1]، ومن ذلك يقال: ثابَ فلانٌ إلى داره، أي: رجعَ، وقيل للمنزل: مَثابةٌ؛ لأنَّ أهله يتصرَّفون في أمورهم ثمَّ يثوبون - أي: يرجعون - إليه[2]، وسُمّيَ مكانُ المُستسقي على فم البئر مَثابةً، وسُمّيَ الثَّوبُ بذلك؛ لرجوع الغَزْل إلى الحالة الَّتي قُدِّرَتْ له[3]. والمرادُ بالثّياب هنا: العمل، أو القلب، أو النَّفس، أو الجسم، أو الأهل، أو الخُلُق، أو الدّين، أو الثّياب الملبوسات[4].

5) ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾: (رجز) أصلٌ يدلُّ على اضطراب، ومن ذلك: الرَّجَزُ، وهو داءٌ يصيب الإبلَ في أعجازها، فإذا ثارت النّاقةُ ارتعشَ فخِذاها[5]، والرِّجازةُ: كِساءٌ يُجعل فيه أحجار، فيُعلَّق على أحد جانبَي الهودج إذا مالَ ليعتدل[6]، وذلك لِما يُتصوَّر فيه من حركتهِ واضطرابهِ، والرِّجز: العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: 34][7]، وسُمّيَ بذلكَ؛ لاضطرابِهم عند نزوله بهم، والرُّجز: الصنم. والمراد به هنا: الأوثان، أو الإثم، أو العذاب[8].

6) ﴿فَٱهْجُرْ﴾: (هجر) أصلٌ يدلُّ على قطيعةٍ وقطعٍ[9]، ومِنْ ذلكَ: المهاجرةُ مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ، أي: تركُ الأولى للثّانية. والتَّهاجرُ: التَّقاطعُ[10]، والهَجْرُ والهجرانُ: مفارقةُ الإنسانِ غيرَهُ، إمّا بالبدنِ، أو باللِّسانِ، أو بالقلبِ، قال تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: 34] كنايةً عن عدم قُربهنَّ، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: 30] فهذا هجرٌ بالقلب، أو بالقلب واللسان، وقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: 10] يحتمل الثَّلاثةَ[11]. والمراد بالهَجر هنا: التَّرك.

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثوب).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ثوب).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والراغب، المفردات: (ثوب).
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 62.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجز).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رجز).
(7) الراغب، المفردات: (رجز).
(8) الجوهري، الصحاح: (رجز)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 66.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هجر).
(10) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (هجر).
(11) الراغب، المفردات: (هجر).

7) ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾: (منن) أصلٌ يدلُّ على اصطناعِ خيرٍ، ومِنْ ذلكَ: المِنَّةُ، وهي النِّعمةُ الثَّقيلةُ[1]، يقالُ: منَّ فلانٌ على فلانٍ، إذا أثقلَهُ بالنِّعمةِ، والمنُّ قد يكونُ بالفعلِ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: 164][2]، وقد يكونُ بالقولِ، كما في قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ﴾ [الحجرات: 17][3].

8) ﴿تَسۡتَكۡثِرُ﴾: (كثر) أصلٌ يدلُّ على خِلاف القِلَّة[4]، ومن ذلك يُقال: رجلٌ مُكثِرٌ، أي: كثيرُ المال، ورجلٌ مِكْثار وامرأةٌ مِكْثار إذا كانا كثيرَي الكلام، ورجلٌ مكثورٌ عليه إذا كثُر مَن يطلبُ إليه المعروفَ[5]، والمكاثرةُ والتَّكاثرُ: التَّسابقُ في كثرةِ المال والعزِّ، قال تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ [التكاثر: 1][6]. ومعنى ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾: لا تمنُنْ على ربِّكَ بما تتحمَّلهُ من أثقال النُّبوَّة، كالذي يستكثر ما يتحمَّله بسبب الغير، أو لا تُعْطِ عطيَّةً تلتمس بها أفضلَ منها، أو لا تضعُف أن تستكثر من الخير، أو لا تُعظِّم عملكَ في عينك، أو لا تمنُنْ بالنُّبوَّة والقرآن على النّاس فتأخذ منهم أجرًا تستكثر به، أو لا تعمل طاعةً وتطلب ثوابها، ولكن اصبر حتَّى يكون اللّه هو الَّذي يُثيبك عليها، أو لا تفعل الخير لتُرائيَ به النّاسَ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحليةُ النَّبيِّ بالأخلاق الفاضلة في بدايةِ دعوته

يخاطبُ اللّه تعالى نبيَّهُ ﷺ، فيقول: يا أيُّها الملتفُّ بثيابه، انهَضْ وبادرْ إلى التَّخويف من عذاب اللّه، وعظِّمْ ربَّك بالعبادة وقَوْلِ: (اللّه أكبر) والالتجاءِ إليه، ونظِّفْ ثيابك من الأقذار، أو طهِّرْ نفسَك ممّا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (منن).
(2) الراغب، المفردات: (منن).
(3) السمين، عمدة الحفاظ: (منن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كثر).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (كثر).
(6) الراغب، المفردات: (كثر).
(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 67 - 68.

كانوا عليه من الأخلاق الذَّميمة، واترُك عبادة الأوثان أو أسبابَ العذاب، ولا تُعْطِ عطيَّةً ترجو أعظمَ منها، أو لا تستكثر عملك على ربِّك، أو لا تضعُف أن تستكثر من الخير، أو لا تمنُنْ بالنُّبوَّة على النّاس، تأخذ عليها منهم أجرًا، واصبِرْ على ما تُلاقي من المَشاقِّ والآثام، وعلى رأس ذلك ما تُلاقيه في الدَّعوة إلى الله من المكروه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ افتتاحِ السّورةِ بالنِّداءِ:

عـظـمـةُ شـأنِ الأوامـــرِ الَّـتـي صُـــدِّرَتْ بها السّورةُ

افتتاحُ السّورةِ بالنِّداءِ في قولِهِ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ مع أنَّ المخاطَبَ - وهو النَّبيُّ ﷺ - واحدٌ غيرُ بعيدٍ؛ للاهتمامِ بما سيُلقَى إليهِ مِنَ الكلامِ، وبيانِ أنَّهُ في غايةِ العظمةِ[2]. وفي النِّداء أيضًا تحبُّبٌ له ﷺ وإشعارٌ بمنزلته عند ربِّه، وكلُّ ذلك بين يدَيْ تكليفهِ بالأوامرِ العظيمة، والمَطالب الجسيمة.

سرُّ النِّداءِ بوصفِ المدَّثِّرِ مادَّةً وصيغةً:

الـرِّفـقُ بالنَّبيِّ ﷺ في الـنِّـداء من صور الآلاء

تعريف المدَّثِّر في قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ للعهد؛ لأنَّ المراد به هو رسولُ الله ﷺ بالإجماع[3]. ونداءُ النَّبيِّ بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ نداءُ تلطُّفٍ ورِفقٍ وإشعارٍ بقُربه من الله ﷻ؛ لأنَّ النِّداء قد وقع باعتبارِ ما كانَ عليهِ مِنْ هيئةِ التَّدثُّرِ بالثِّيابِ[4]، والعربُ إذا قصدت الملاطفة بترك المعاتبة؛ نادَوا المنادَى باسمٍ مشتقٍّ من حالته الَّتي هو عليها[5]. وصيغةُ التَّفعُّلِ في ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ للتَّكلُّف، أو المراد الكمالُ المترتِّبُ على التَّكلُّف[6]. ممّا يدلُّ على شدَّةُ تلبُّسِ النَّبيِّ ﷺ بالتَّدثُّرِ.

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 7 - 16.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 40.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 696.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 61، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 324، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 294. 256
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 401.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 400.

دلالةُ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

النُّبـوَّةُ رداءٌ عظيم

الظّاهر أنَّ الوصفَ بالمدَّثِّر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ حقيقةٌ، وأنَّ المراد نداؤه ﷺ بالصِّفة الَّتي كان عليها، وهي التغطّي بثيابه[1].

ويحتمل أن يكون مجازًا على معنى المدَّثِّر بالنُّبوَّة، كما يقال: ارتدى بالمجد وتأزَّر به، أي: يا أيُّها اللّابسُ خِلْعةَ النُّبوَّة ودِثارَها[2]، ونوعُ هذا المجاز - على الأظهر - هو الاستعارة التَّمثيليَّة[3].

أو المعنى: يا أيُّها المتدثِّر بدثار الخُمول والاختفاء في جبل حِراء، قُمْ بهذا الأمر واخرُجْ من زاويةِ الخُمول، واشتغِلْ بإنذارِ الخَلق، والدَّعوةِ إلى معرفة الحقِّ.

أو المعنى: يا أيُّها المدَّثِّر بأثواب العلم العظيم، والخُلُقِ الكريم، والرَّحمة الكاملة؛ قُمْ فأنذِرْ[4].

دلالةُ الأمرِ في ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾:

الأمرُ بالقيام والإنذار في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ للوجوب؛ إذْ هو الأصلُ ولا صارفَ عنه، بل مقامُ التَّكليفِ بالرِّسالة يقتضيه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالقيامِ بينَ الحقيقةِ والمجازِ:

وجـوبُ الإقبـال على الإنذار بعزمٍ وتصميمٍ

يحتملُ أن يكونَ القيامُ في قوله ﷻ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ على حقيقته، والمعنى: قُمْ من مضجعك[5].

ويحتملُ أن يكون مستعملًا في غير حقيقته؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن حين أوحيَ إليه بهذا نائمًا ولا مضطجعًا، ولا هو مأمورٌ بأن ينهضَ على قدمَيه، وإنَّما هو مستعملٌ في الأمر بالمبادرة والإقبال والتَّهمُّم

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 294.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 350، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 294.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 402.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 696 - 697.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 561.

بالإنذار مجازًا أو كنايةً[1]، والمعنى: قُمْ قيامَ عزمٍ وتصميم[2]. وقد شاعَ هذا الاستعمالُ في فعل القيام، حتَّى صار معنى الشُّروع في العمل من معاني مادَّة القيام مساويًا للحقيقة، وجاء بهذا المعنى في كثيرٍ من كلامهم[3].

معنى الفاءِ في ﴿فَأَنذِرْ﴾:

القيامُ وسيلةٌ للإنذار

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ دخلت على معنى جوابِ الجزاء[4]، وفيها دلالةٌ على تسبُّبِ الإنذار عن القيام[5]، وتفرُّعِهِ عنه، وتنبيهٌ على أنَّ الإنذارَ هو المرادُ من الأمرِ بالقيام، والمعنى: يا أيُّها المدَّثِّر من الرُّعب لرؤية ملَك الوحي لا تخَفْ وأقبِلْ على الإنذار[6].

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالإنذارِ:

المُـعـرِضُ عن الدَّعوة مُعرِّضٌ نفسَهُ للعقابِ

الإنذارُ: الإعلامُ بما ينبغي أنْ يُحذرَ منه[7]. والإخبارُ بما فيه توقُّعُ ضرٍّ وشرٍّ، وبما يُخاف ويُكرَهُ[8]. ومن هنا أوثرَ التَّعبيرُ به في قول الباري ﷻ: ﴿فَأَنذِرْ﴾، ولم يُقل: (فأعلِمْ)؛ لدلالة الإنذار على الإعلام المقترن بالتَّخويف والتَّهديد، فيكون أنسبَ بمقام ابتداء النّاس بالرِّسالة، وحثِّهم على تصديق النَّبيِّ ﷺ؛ إذ فيه إيماءٌ إلى أنَّ المُعرِضَ عن الدَّعوة مُعرِّضٌ نفسَهُ للعقاب.

نكتةُ حذفِ مفعولِ الإنذارِ:

النَّبيُّ ﷺ داعٍ جميعَ النّاس إلى الله تعالى

قوله تعالى: ﴿فَأَنذِرْ﴾ يحتمل أن يكون معناه: خوِّفْ أهلَ مكة وحذِّرْهم العذاب إن لم يُسلِموا، أو خوِّف النّاسَ، فيكون المفعولُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 294 - 295.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 561.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 294 - 295.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 62.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 41.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 67، و1/ 98.
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/ 372، و8 - أ/ 78، و11/ 62.

مقدَّرًا. ويحتمل أن يكون الفعلُ قد نُزِّل منزلةَ اللّازم للتَّعميم، والمعنى: فافعَلِ الإنذارَ[1]. وأيًّا ما كان فمعلومٌ من الدّين بالضَّرورة أنَّ رسالة النَّبيِّ ﷺ عامَّة، ومن قدَّر: (خوِّفْ أهل مكة) فمُرادُهُ أنَّ هؤلاء يدخلون في الإنذار دخولًا أوَّليًّا، لا أنَّهم يُنذَرون دون غيرِهم.

سرُّ الاقتصارِ على الإنذارِ:

الإنذارُ والتَّبشيرُ قرينانِ وحالُ النّاس في ابتداء الرِّسالة هو الإنذارُ

اقتُصر على الإنذار في قوله ﷻ: ﴿فَأَنذِرْ﴾، ولم يُقَلْ: (وبشِّر)؛ لأنَّهُ كان في ابتداء النُّبوَّة، والإنذارُ هو الغالب؛ لأنَّ البشارة لمَن آمن، ولم يكن إذ ذاك مؤمنون. ويجوزُ أن يكون اكتفاءً؛ لأنَّ الإنذار يَلزَمُه التَّبشيرُ[2] بوصفِهما من خصائصِ الرِّسالة والدَّعوة[3].

سرُّ تقديمِ الأمرِ بالإنذارِ على غيرِهِ مِنَ الأوامرِ:

درءُ المفاسد مقدَّمٌ على جَلْبِ المَصالح

ابتُدئ بالأمر بالإنذار في قوله ﷻ: ﴿فَأَنذِرْ﴾، وقُدِّمَ على سائرِ الأوامر المذكورةِ في السّورة؛ لأنَّ الإنذارَ يجمَعُ معانيَ التَّحذير من فعلِ شيءٍ لا يليقُ وعواقبِه؛ فالإنذارُ حقيقٌ بالتَّقديم قبل الأمر بمَحامدِ الفِعال؛ لأنَّ التَّخلية مقدَّمةٌ على التَّحلية، ودرء المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح، ولأنَّ غالبَ النّاس يومئذٍ مُحتاجٌ إلى الإنذار والتَّحذير[4].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾:

الجمعُ بين الإنذارِ وتعظيمِ الله تعالى طريقُ الفلاحِ والنَّجاح

الواو في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ لعطف هذه الجملةِ على جملة ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[5]، فتُفيدُ الجمعَ بينَ الإنذارِ وتعظيم الله تعالى، ومن لطائف ذلك الاقترانُ بين تعظيمِه تعالى حقَّ التَّعظيم بحيث يَصغُرُ كلُّ شيء دونه، وبين تنزيهِه سبحانه عن الشِّرك أوَّلًا، وعن

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، والطيبي، فتوح الغيب: 16/ 111، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 54، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 403 - 404.

(2) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 270، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 130، والقاسمي، محاسن التأويل: 9/ 350.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 306.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.

كلِّ ما لا يليقُ به من وصلٍ وفصلٍ، ومن سؤالِ غيرِه، والاشتغالِ بسواه[1]، وهذان من وسائل النَّجاح والفلاح في الدُّنيا والآخرة.

سرُّ التَّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضميرِ النَّبيِّ ﷺ:

الله تعالى هو المتولّي تربيةَ نبيّه ﷺ

عُبِّرَ بعنوان الرُّبوبيَّة مضافًا إلى ضميره ﷺ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ لدلالته على تعظيم النَّبيِّ ﷺ بكونه عبدًا لله تعالى، وأنَّ الله تعالى هو الَّذي ربّاه، أي: سيِّدَك ومالكَك ومصلحَ أمركَ فعظِّمْ[2].

نكتةُ تقديمِ ﴿وَرَبَّكَ﴾:

الله تعالى هو المستحقُّ للتَّعظيم

تقديمُ المفعول في قوله ﷻ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ للاهتمام به[3]، أو لإفادة الاختصاص، وهو قصرُ إفرادٍ، أي: دون الأصنام[4]، والمعنى: واختصَّ ربَّك بالتَّكبير - وهو التَّعظيم - أي: لا يَكبُرُ في عينكَ غيرُهُ، وقُلْ عند ما يَعْروك من غيره: الله أكبر[5].

معنى الفاءِ في ﴿فَكَبِّرْ﴾ وما بعدَهُ:

الإعلانُ بتعظيم الله وتوحيدِهِ في كلِّ زمان

الفاء في قول الحقِّ ﷻ: ﴿فَكَبِّرْ﴾؛ للدَّلالة على شرطٍ محذوف يكون (كبِّر) جوابه، والتَّقدير: مهما يكُنْ شيءٍ فكبِّرْ ربَّك[6]، والمعنى: ألّا يفتُرَ عن الإعلانِ بتعظيم الله وتوحيده في كلِّ زمان وكلِّ حال، وهذا من الإيجاز[7]، أو للدَّلالة على أنَّ المقصود الأوَّلَ من الأمر بالقيام أن يُكبِّر ربَّه عن الشِّرك والتَّشبيه؛ فإنَّ أوَّلَ ما يجبُ معرفةُ الصّانع، وأوَّلَ ما يجبُ بعد العلم بوجودِهِ تنزيهُهُ، والقومُ كانوا مقرّينَ به[8].

ويحتملُ أن تكون الفاءُ زائدةً، كقولك: زيدًا فاضربْ، تريد: زيدًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 42.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 61، والبقاعي، نظم الدرر: 21/ 42.
(3) السمين، الدر المصون: 10/ 534.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 645، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 295.
(5) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 562.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 62.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.
(8) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 259.

اضربْ، ومعناهُ توكيدُ تعليقِ الفعلِ بما قبلَهُ من المعمول مبالغةً في السَّببيَّة والحصر، وبهذا التَّوجيه نفى ابنُ الشَّجريِّ أن تكون هذه الفاء رابطةً لجواب شرطٍ محذوف[1]. ومِثلُ ذلك يُقالُ في ﴿فَطَهِّرْ﴾ و﴿فَٱهْجُرْ﴾ و﴿فَٱصْبِرْ﴾.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّكبيرِ:

تنزيهُ الله تعالى عن النَّقائص ووصفُهُ بكلِّ عظيم

التَّكبيرُ في قوله تعالى: ﴿فَكَبِّرْ﴾ مجازيٌّ بتشبيه الشَّيء المعظَّم بشيءٍ كبير في نوعهِ بجامعِ الفَضلِ على غيرهِ في صفاتِ مثله[2]، والمرادُ تعظيمُ اللهِ ﷻ، ووصفُهُ بأنَّهُ أكبرُ من أن يكون له صاحبةٌ أو ولدٌ أو شريك، وذلك يستدعي خلعَ الأندادِ والأصنام، وإفرادَهُ بالعبادة والولاية[3]، وتنزيهَهُ عن كلِّ ما لا يليق به ﷻ[4].

ويشمل هذا المعنى أن يقول: (اللهُ أكبر)؛ لأنَّهُ إذا قال هذه الكلمة أفادَ وصفَ اللهِ بأنَّهُ أكبرُ من كلِّ كبير، أي: أجَلُّ من كلِّ جليل، ولذلك جُعلتْ هذه الكلمة افتتاحًا للصَّلاة، وفي ذِكر التَّكبير أيضًا إيماءٌ إلى شرعِ الصَّلاة الَّتي أوَّلُها التَّكبير، وبخاصَّةٍ اقترانُه بقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ فإنَّهُ إيماءٌ إلى شرعِ الطَّهارة، فلعلَّ ذلك إعدادٌ لشرع الصَّلاة[5].

دلالةُ الأمرِ بالتَّكبيرِ مادَّةً وصيغة:

تعظيمُ الله تعالى واجب

الأمر في قول الباري ﷻ: ﴿فَكَبِّرْ﴾ للوجوب، فيفيدُ أنَّ تكبير اللهِ ﷻ – وهو تعظيمه – مفروضٌ على النَّبيِّ ﷺ. وفعلُ ﴿فَكَبِّرْ﴾ يُفيدُ معنى نسبةِ مفعولهِ إلى أصلِ مادَّةِ اشتقاقه، وذلك من معاني صيغة (فعَّل)، أي: أخبِرْ عنه بخبرِ التَّعظيم[6].

(1) ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: 2/ 326، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 62، وقباوة، المفصل في شرح الجلالين، ص: 2040.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 61 - 62.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 42.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 296.

سرُّ تقديمِ الأمرِ بالتَّكبيرِ على ما بعدَهُ:

تنزيهُ الله تعالى أعظمُ مقصود، وأسمَى مطلوب

ذِكْرُ جملة ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ بعد الأمر السّابق مقدَّمةً على سائر الجمل؛ فيه إشارةٌ إلى مزيد الاهتمام بأمر التَّكبير، وإيماءٌ إلى أنَّ المقصود الأوَّل من الأمر بالقيام أن يكبِّر ربَّهُ ﷻ وينزِّهه من الشِّرك، والكلام تعريضٌ بالمشركين. وفي ذكر هذه الجملة أيضًا مسارعةٌ لتشجيعهِ ﷺ على الإنذار وعدم مبالاته بما سواه ﷻ، حيث تضمَّنت الإشارةَ إلى أنَّ نَواصيَ الخلائقِ بيده تعالى، وكلُّ ما سواهُ مقهورٌ تحت كبريائهِ تعالى وعظمَتهِ، فلا ينبغي أن يُرهَبَ إلَّا منه، ولا يُرغَبَ إلَّا فيه[1].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ لعطفِ هذه الجملة على ما قبلها، وذكْرِ أمرٍ جديدٍ من الأوامر الموجَّهة إليه ﷺ بعد الأمرِ بالقيام والإنذار والتَّكبير.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالثِّيابِ والتَّطهير:

وجوبُ تطهير الثِّياب من الأنجاس والأقذار في الصَّلاة وخارجَها

يحتملُ أن يُحملَ لفظا (الثِّياب) و(التَّطهير) في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ على حقيقتهما، ويكون المراد أنَّهُ ﷺ أُمِرَ بتطهير ثيابه من الأنجاس والأقذار، والمقصودُ منه الإعلامُ بأنَّ الصَّلاة لا تجوز إلّا في ثيابٍ طاهرةٍ من الأنجاس، وأنَّ على النَّبيِّ ﷺ أن يُخالفَ المشركينَ الَّذين ما كانوا يصونونَ ثيابَهم عن النَّجاسات.

وجوبُ تقصير الثِّياب وتركِ الخُيَلاء والكِبْر

ويحتملُ أن يُتركَ لفظُ (الثِّياب) على حقيقته، ويُحملَ لفظُ (التَّطهير) على مجازه، والمرادُ الأمرُ بتقصير الثِّياب؛ لأنَّ العرب كانوا يُطوِّلون ثيابَهم للخُيَلاء والكِبْر، فكانت ثيابُهم تتنجَّس، فنُهيَ الرَّسول ﷺ عن هذا الخُلُقِ الشَّنيع. أو المراد: ينبغي أن تكون الثِّياب

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 130.

الَّتي تلبسها مطهَّرةً عن أن تكون مغصوبةً أو محرَّمةً، بل ينبغي أن تكون مكتسَبةً من وجهٍ حلال.

ويحتملُ أن يكون الكلامُ كنايةً عن تجنُّبِ الأقذارِ كلِّها؛ لأنَّ مُن جنَّبَ ذلك ملبسَهُ أبعدَهُ عن نفسهِ من باب الأولى[1].

وجوبُ التَّنظيفِ وقتَ الاستنجاءِ

ويحتملُ أن يُتركَ لفظ (التَّطهير) على حقيقته، ويُحمل لفظ (الثِّياب) على مجازه، وذلك لأنَّ العرب ما كانوا يتنظَّفون وقت الاستنجاء، فأُمِرَ ﷺ بذلك التَّنظيف، ويُجعل لفظ الثِّياب كنايةَ نسبةٍ حيثُ أُمِرَ بتطهيرِ الثَّوب وأرادَ تطهيرَ النَّفسِ التي بداخله.

وجوب تطهير النَّفس عن الصِّفات والأخلاق الذَّميمة

ويجوز أن يُحمَل لفظا (الثِّياب)، و(التَّطهير) على المجاز، والمعنى: وقلبَك فطهِّرْ عن الصِّفات المذمومة الَّتي يتَّصفون بها، وخُلُقَكَ فحسِّنْ واصبِرْ، ولا تحملنَّك سفاهتُهم على ترك إنذارهم، أو على الانتقام منهم[2].

غرضُ الإضافةِ في ﴿وَثِيَابَكَ﴾:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ﴾ لاميَّة، فتفيد أنَّ على النبيِّ ﷺ أن يعتنيَ بتطهير ثيابه الخاصَّة به، وفي ذلك تنبيهٌ على عظم المسؤوليَّة.

سرُّ تقديمِ ﴿وَثِيَابَكَ﴾:

تقديم ﴿وَثِيَابَكَ﴾ على ﴿فَطَهِّرْ﴾؛ للإيذان بالاختصاص؛ فالإنسانُ يطهِّر ثيابَهُ لا ثيابَ غيره، أو للاهتمام بالأمر بالتَّطهير[3].

دلالةُ الأمرِ بالتَّطهيرِ:

حرصُ الإسلام على تطهير الظَّاهر والباطن

الأمرُ في قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ للوجوب، فيفيد أنَّ تطهير الثِّياب - على الاختلاف في تفسير التَّطهير والثِّياب -

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 21/ 43.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 645، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 392، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 698 - 699.

(3) السمين، الدر المصون: 10/ 534.

ممّا يلزَمُه ﷺ، وفي ذلك ما لا يخفى من التَّنبيه على عظمة شأن الطَّهارة والتَّزكية في الإسلام.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾:

تطهيرُ الاعتقاد مكمِّلٌ لتطهير النَّفس والثِّياب

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ للعطف، فتفيد أنَّ الأمر بهجر الرُّجز من جملة الأوامر الموجَّهة إليه ﷺ في هذه السّورة. وفيه تعلُّقٌ بجملة تطهير الثِّياب؛ من حيثُ كونُه أمرًا بالتَّطهُّر بتجنُّبِ كلِّ ما يندرج تحت دائرة الرُّجز؛ من الشِّرك وعبادة الأوثان.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾:

وجوب اجتناب الأوثان والعذاب والمعاصي

قرأ حفص وأبو جعفر ويعقوب: ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ بضمِّ الرّاء. وقرأ الباقون بكسرها: ﴿وَٱلرِّجۡزَ﴾[1]. فيحتمل أنَّهما لغتان بمعنًى واحد[2].

ويحتمل أنَّ المضموم بمعنى الأوثان، ومعنى الكلام: والأوثان فاهجُرْ عبادتَها، وتجنَّبْ خدمتَها، وأنَّ المكسور بمعنى العذاب، أي: والعذابَ فاهجُرْ، أي: ما أوجبَ لك العذابَ من الأعمال فاهجُرْ[3]، فهو على حذفِ مضافٍ أو على إقامةِ المسبَّب مقامَ سبَبِهِ[4]، أو المكسور بمعنى النَّجاسة والمعصية[5].

نكتةُ تعريفِ الرُّجزِ:

تعريف الرُّجز في قول الحقِّ جلَّ ذكره: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ للجنسِ المستغرق لجميع أفراده؛ إذ المراد هجرُ جميع الأوثان أو المعاصي أو أفرادِ العذاب.

غرضُ تقديمِ ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾:

تقديم ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ على ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ للاهتمام به في سياق

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 393.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 67.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 12.
(4) السمين، الدر المصون: 10/ 535.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 67.

الأمر بتركه[1]، إشعارًا بخطرِهِ، وتنبيهًا على عظيم ضررِهِ. أو للاختصاص[2]، أي: والرُّجزَ دون غيره فاهجُرْ.

دلالةُ الأمرِ بالهجرِ:

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ للدَّوام على الهجر؛ لأنَّهُ ﷺ كان بريئًا من عبادة الأوثان والشِّرك باللّه، وكلِّ ما يؤدّي إلى العذاب[3]. منزَّهًا من كلِّ مستقذَر مذمومٍ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالهجرِ:

عُبِّرَ بالهَجر في قوله ﷻ: ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾؛ لما فيه من المبالغة؛ لأنَّهُ تركُ المخالطة وعدمُ الاقتراب من الشَّيء، وهو هنا كنايةٌ عن ترك التَّلبُّس بالأحوال الخاصَّة بأنواع الرُّجز لكلِّ نوعٍ بما يُناسبه في عُرف النّاس[4]، فالمطلوب مجانبة الرُّجز ظاهرًا وباطنًا، جهارًا وعبادةً، ليحصلَ له ﷺ الثَّواب، كما كان يُجانبها سرًّا وعادة[5].

اجتنابُ كلِّ ما يتعلَّق بالرُّجز مطلوب

دلالةُ الواوِ في ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ لعطفِ هذه الجملة على جملة الأمر بهَجر الرُّجز. ومناسبة هذا العطف: أنَّ المنَّ في العطيَّة كثيرٌ مِنْ خُلُقِ أهل الشِّرك، فلمّا أمرَهُ اللّه بهَجرِ الرُّجزِ نهاهُ عن أخلاق أهل الرُّجزِ[6].

هـجـرُ الأوثـان يستدعي تـركَ التَّخلُّقِ بأخلاق عَبَدتِها

غرضُ النَّهيِ في ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾:

النَّهيُ في قوله تعالى شأنه: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ لتحريم التَّخلُّق بأخلاق أهل الرُّجز من المنِّ بالعطاء، وهو نهيٌ يقتضي الأمرَ بالصَّدقة

عـدمُ المـنِّ بالعطاء من أخـلاق أهـل المروءة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298.
(2) السمين، الدر المصون: 10/ 534.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 645، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 562.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 44.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298.

والإكثارَ منها بطريق الكناية، فكأنَّهُ قال: وتصدَّقْ وأكثِرْ من الصَّدقة ولا تمنُنْ، أي: لا تَعُدَّ ما أعطيتَهُ كثيرًا، فتُمسِك عن الازدياد فيه، أو تتطرَّق إليك ندامةٌ على ما أعطيتَ[1]. والنَّهيُ للتَّحريم، وهو خاصٌّ برسول الله ﷺ؛ لأنَّ الله تعالى اختار له أشرفَ الأخلاقِ وأحسنَ الآدابِ، أو النَّهيُ للتَّنزيه، وهو له ﷺ ولغيره[2]. والمراد: عدمُ الوقوع في الفعل لا الكفُّ عنه، و(لا) طلبيَّة للنَّهي، والنَّهيُ بها موجَّهٌ إلى العطاء مقيَّدًا بطلب الأجر لا إلى العطاء وحده[3].

نكتةُ حذفِ متعلِّقِ المنِّ والاستكثارِ:

المـنُّ والاستكثار منـهـيٌّ عنهما مطلقًا

حُذِفَ متعلِّقُ المنِّ والاستكثار في قول الباري ﷻ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾؛ للدَّلالة على العموم، وبيانِ أنَّ المنَّ مذمومٌ أيًّا كان المنونُ به، وعلى رأس ذلك المنُّ بالعطاء، وكذلك الاستكثارُ مذمومٌ أيًّا كانَ المُستكثَرُ منه إلّا الاستكثارَ من الخير[4].

دلالةُ صيغةِ الاستفعالِ في ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾:

التـَّـصـدُّق من شِيَمِ النَّبيِّ ﷺ

السّينُ والتّاء في قوله تعالى: ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ للوجدان[5]، أي: بعَدِّ ما أعطيتَهُ كثيرًا. وهذا من بديع التَّأكيد لحصول المأمور به، جُعلتِ الصَّدقة كالحاصلة؛ لأنَّها من خُلُقِه ﷺ؛ إذ كان أجودَ النّاس، وقد عُرفَ بذلك من قبلِ رسالته؛ لأنَّ الله هيَّأهُ لمكارم الأخلاق، ففي هذه الآية إيماءٌ إلى التَّصدُّق[6].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾:

الواو في قوله ﷻ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ لعطف الأمر بالصَّبر على ما قبله، فتفيدُ أنَّ الصَّبر من جملة الأوامر الموجَّهة إلى النَّبيِّ ﷺ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 55.
(3) قباوة، المفصّل في شرح الجلالين: ص 2040.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298 - 299.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 133.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 298 - 299.

معنى اللّامِ في ﴿وَلِرَبِّكَ﴾:

الصَّبر لأجل الله تـعـالى عـبـادة عظيمة

اللّام في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ للعلَّة، أي: لوجه ربِّك فاصبر على أذى الكفّار، وعلى عبادة ربِّك، وعن كلِّ ما لا يليق. ويحتمل أن تكون اللّام لتضمين (اصبر) معنى: أذعِنْ لربِّك وسلِّم له أمرَك صابرًا[1].

سرُّ التَّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضميرِ النَّبيِّ ﷺ:

الـصَّـبر لأجـل المُحسِن واجب

في التَّعبير عن الله تعالى بوصف الرُّبوبيَّة في جملة: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ إيماءٌ إلى أنَّ هذا الصَّبرَ برٌّ بالمولى وطاعةٌ له[2]، ولأنَّ الرُّبوبيَّة بمنزلة العلَّة للأمر بالصَّبر، وكأنَّ المعنى: اصبرْ لله؛ لأنَّهُ المُحسِنُ إليك، المُربّي لك، المُدبِّر لجميع مصالحك[3].

غرضُ تقديمِ ﴿وَلِرَبِّكَ﴾:

الـصَّـبر محـطُّ اهتمام الشّارع

تقديم ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ على ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ للاهتمام بالأمور الَّتي يصبر لأجلها، مع الرِّعاية على الفاصلة[4]، ولتقوية الدّاعي إلى الصَّبر[5]، أو للتَّخصيص[6] بأن يكون الصَّبر خالصًا لوجه الكريم ﷻ.

دلالةُ الأمرِ بالصَّبرِ:

الأمرُ بالصَّبر في قوله ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ للوجوب؛ لأنَّهُ الأصلُ، ولا صارفَ عنه، بل سياقُ الحثِّ على الإنذار ومكارمِ الأخلاق يقتضيه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالصَّبرِ:

عُبِّرَ بالصَّبر في قوله جلَّ ذكره: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾؛ لدلالته على ثبات النَّفس وتحمُّلِها المَشاقَّ والآلامَ ونحوَها[7]، فيكون مناسبًا لمقام الإنذار الَّذي هو مظنَّةٌ لأذى المشركين.

---

(1) السمين، الدر المصون: 10/ 538.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 300.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 45.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 300.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 45.
(6) الطيبي، فتوح الغيب: 16/ 115.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 299.

نكتةُ حذفِ متعلِّقِ الصَّبرِ:

الصَّبرُ عُدَّةٌ في كلِّ المَشاقِّ والآلام

يحتمل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ أن يكون قد حُذف فيه المتعلِّق، والتَّقدير: فاصبِرْ على أذى المشركين، أو على أداء الفرائض، أو على عطيَّتك من غير استكثارٍ، أو هو عامٌّ يتناول كلَّ مصبورٍ عليه ومصبورٍ عنه، والصَّبر على أذى الكفّار ممّا يتناوله الكلامُ أيضًا. ويحتملُ أن يكون الفعلُ قد نُزِّلَ منزلةَ اللّازم، والمعنى: فاستعمِل الصَّبرَ[1] دون التفاتٍ إلى المَصبورِ عليه ما هو.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّخويفُ والإنذارُ:

النبيُّ ﷺ مخوِّفٌ من عذابٍ شديدٍ

الإنذار: تخويفٌ مع إعلامِ موضعِ المَخافة، من قولك: نذرتُ بالشَّيء إذا علمتَهُ فاستعددتَ له، فإذا خوَّفَ الإنسانُ غيرَهُ، وأعلمَهُ حالَ ما يُخوِّفُهُ به؛ فقد أنذرَهُ، وإن لم يُعلِمْهُ ذلك قيل: خوَّفَهُ فقط، والانذارُ إحسانٌ من المُنذِرِ، وكلَّما كانت المَخافةُ أشدَّ كانت النِّعمة بالإنذار أعظمَ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ أعظمَ النّاس بإنذاره لهم عقابَ الله تعالى.

وقد أوثر التَّعبير بالإنذار هنا؛ لأنَّهُ ﷺ مكلَّفٌ بتخويفهم من أمرٍ عظيم، وهو عقابُ الله تعالى إن لم يؤمنوا به ويوحِّدوه، وهو مبيِّنٌ لهم موضعَ المَخافة أكملَ البيانِ وأعظمَهُ.

الرُّجزُ والرِّجسُ:

يشترك الرّجز والرِّجس في كونهما مُستَقذَران

الرُّجز: هو العذاب أو عبادة الأوثان. والرِّجس: هو المُستقذَر[2]. وقد عُبِّرَ بالرُّجز هنا؛ لأنَّ المراد مجانبةُ الأوثان أو أسباب العذاب[3]، لا المستقذَراتُ؛ لأنَّ تلك يدلُّ عليها قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 646.
(2) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 548 - 549.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 699 - 700.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"